الدرس التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أمَّا بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر :

بابٌ الفخر

وقول الله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ الآية [الأعراف: ١٢].

****

قال المصنِّف الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب رحمه اللّه تعالى في كتابه الكبائر: «**بابٌ الفخر**» ؛ هذه التَّرجمة عقدها رحمه اللّه تعالى لبيان ذمِّ الفخر ، والفخر : هو تعالي الإنسان على الآخرين واستطالته بنفسه عليهم زهوًّا وإعجابًا وغرورًا ، بأن يرى نفسه أميَزَ من الآخرين وأفضل منهم وأنَّه خيرٌ منهم، ويتعالى عليهم بذلك، وكلُّ مَن كان من أهل هذا الوصف ففيه شبهٌ من إبليس؛ ولهذا صدَّر رحمه اللّه تعالى هذه التَّرجمة بقول اللّه تعالى: ﴿قَالَ﴾ أي: إبليس ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ أي: آدم ؛ وهذا نوعٌ من الفخر اتَّصف به إبليس عدوُّ اللّه وعدوُّ المؤمنين، ولهذا كلُّ مَن كان من أهل هذا الوصف ففيه شبهٌ من عدوِّ اللّه.

قال رحمه الله تعالى :

١٢٩ – وعن عياض بن حمار رضي الله عنه مرفوعًا: ((إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)) رواه مسلم.

****

قال: **عن عِياض بن حمار رضي اللّه عنه مرفوعًا: ((إنَّ اللّه تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا))** أي: أن تحلَّوا بهذه الصِّفة، صفة التَّواضع، وهي من أوصاف أهل الإيمان، ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ)) كما صحَّ بذلكم الحديث عن رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه. والتّواضع رفعةٌ للمرء وعلوّ ، وضدُّه –وهو التَّكبُّر والفخر والخُيلاء– نقصٌ وضَعة.

وهذا الحديث فيه أنَّ الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبيِّه عليه الصَّلاةُ والسَّلام أن تواضعوا، وكان صلوات الله وسلامه عليه إمام المتواضعين وقدوتهم في كمال خُلُقه وجمال معاملته، وطيب آدابه صلوات الله وسلامه عليه وحُسن معاشرته.

وقوله: ((**حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد**)) هذان وصفان مُضادَّان للتَّواضع، مُبَايِنان للتَّواضع، لا يجتمعان معه ؛ الفخر والخُيلاء. قال: ((حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد)) فهما وصفان مُضادَّان للتَّواضع مُبايِنان له.

وهذا فيه تحذير من نوعَيْ الاستطالة على عباد الله ؛ لأنَّ التَّواضع تركٌ للاستطالة على عباد الله، المتواضع متطامن، لا يرفع نفسه أو يتعالى على الآخرين بل هو متطامن متواضع، ليس فيه استطالة على الآخرين. ولما أُمِرَ عليه الصَّلاةُ والسَّلام بالتَّواضع نُهِيَ عن هاتين الخصلتين المضادَّتيْن له، وجماعهما الاستطالة على عباد الله.

وهذا يفيد أنَّ الاستطالة على عباد الله نوعان: استطالةٌ بالفخر ، واستطالةٌ بالبغي ؛ ولهذا قال: ((**تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد**)). فإذًا الفخر استطالة، والبغي استطالة، وهما متنافيان مع التَّواضع، والمسلم مطلوب منه أن يكون متواضعًا مُجانِبًا للفخر ومجانبًا للبغي ، وكلٌّ من الفخر والبغي استطالة؛ وذلك لأنَّ المستطيل على الآخرين إن كانت استطالته بحقّ – أي: بأوصافٍ موجودةٍ فيه –كأن يقول مثلاً لغيره: أنا أكثر أولادًا منك، أنا أكثر تجارةً منك، أنا عندي الحدائق والبساتين والسَّيَّارات ووو... إلخ وهي عنده فعلاً وهو أكثر، فهذا يسمَّى فخر . الاستطالة إذا كانت بحقّ –أي بأوصافٍ هي موجودة في الشَّخص– فهذا يسمَّى فخر ، وإن كانت استطالة بغير حقّ – يمدح نفسه عند الآخرين بأوصافٍ ليست فيه، أنا أفضل منكم بكذا، وهو ليس متَّصف بتلك الصِّفات– فهذا يُسمَّى بغيًا . ولهذا فالفخر والبغي كلٌّ منهما استطالةٌ على الآخرين ، وهما ينافيان التَّواضع ؛ فإن كان استطال على الآخرين بحقّ فهذا فخر، وإن كان استطال عليهم بغير حقٍّ فهذا بغي.

فجمع هذا الحديث العظيم الحثّ على التَّواضع، والنَّهي عمَّا يضادُّه من نوعَيْ الاستطالة على الآخرين، وذلك أنَّ المستطيل على الآخرين إن استطال بحقٍّ فهذا فخر، وإن استطال بغير حقٍّ فهذا بغي، والشرع جاء بالنَّهي عن هذا وعن هذا.

قال رحمه الله تعالى :

١٣٠ – وله عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت)). وقال: ((النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)).

****

قال رحمه الله تعالى: وله أي مسلم رحمه الله عن أبي مالكٍ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**أربعٌ في أُمَّتي من أمر الجاهليَّة لا يتركونهنّ**)) ؛ هذا إخبار منه صلوات الله وسلامه عليه بأمرٍ قدَّر الله سبحانه وتعالى وقوعه وقدَّر جلَّ وعلا وجوده، وأنَّ هذه الخصال الأربع من أمر الجاهليَّة لا يتركها كثير من النَّاس، ولا تزال باقية في كثير منهم. أخبر بهذا الأمر الكوني القَدَري مُحَذِّرًا عليه الصَّلاةُ والسَّلام ، وأن يدفع المرء عن نفسه أقدار الله بأقدار الله، فيسأل الله أن يعيذه من هذه الأوصاف، ويجاهد نفسه على البُعد عنها، وعدم الوقوع فيها، فهي من خصال الجاهليَّة وأوصاف أهل الجاهليَّة يحذِّر منها صلوات الله وسلامه عليه ويخبر أنَّها لا يزال وسيبقى لها وجود بين النَّاس ، يقول ذلك محذِّرًا، مثل قوله في الحديث: ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ))، يخبر عن حالٍ واقعة على وجه التَّحذير ، وأنَّ الواجب على المرء أن يحذر أشدَّ الحذر من هذه الخصال الَّتي أخبر النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّها باقية في الأُمَّة وباقية في النَّاس.

قال: ((**أربعٌ في أُمَّتي**)) ؛ والمراد بالأُمَّة هنا: أمَّة الإجابة.

- لأن الأُمَّة تُطْلَق ويراد بها: أُمَّة الدَّعوة؛ وهم مَن بُعِثَ فيهم صلوات الله وسلامه عليه .
- وأُمَّة الإجابة؛ وهم مَن استجابوا له عليه الصَّلاةُ والسَّلام.

فقوله هنا: ((في أُمَّتي)) أي أمَّة الإجابة.

((**من أمر الجاهليَّة**))؛ الجاهليَّة: ما قبل الإسلام وقبل مبعث النَّبيّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام حيث كان النَّاس في جاهليَّةٍ جهلاء وضلالةٍ عمياء، اجتمعت فيهم أنواع الجهالات والضَّلالات.

((**لا يتركونهنّ**)) هذا فيه بقاء هذه الأوصاف في الأُمَّة ، وأخبر بذلك عليه الصَّلاةُ والسَّلام تحذيرًا وإنذارًا.

بدأ هذه الأوصاف بقوله: ((**الفخر بالأحساب**)) وهي الصِّفة الَّتي لها تعلُّق بهذه التَّرجمة. والفخر بالأحساب: هو الاستطالة على النَّاس والتَّعاظم عليهم بذكر الآباء ومآثر الآباء، ويمتدح نفسه "أنا والدي الذي كذا، وأنا والدي الَّذي فعل، وأنا أجدادي الذين فعلوا.. وأنا كذا "إلخ من الكلمات التي هي استطالة على النَّاس وتعاظم عليهم وترفُّع عليهم، وأنا أرفع منكم، وأعظم منكم، وأعلى منكم؛ لأنَّ أبي، ولأنَّ جدِّي.. إلخ، فهذا يُقال له: الفخر بالأحساب، وهو من الجاهليَّة ومن أعمال أهل الجاهليَّة ومن خصالهم.

((**والطَّعن في الأنساب**)) أي الوقوع في أنساب الآخرين انتقاصًا وازدراءً وتحقيرًا.

((**والاستسقاءُ بالنُّجوم**)) أي: نسبة السُّقيا والمطر ونزول الغيث إلى الأنواء والنُّجوم، كما كانوا يقولون: "مُطِرنا بنوءٍ كذا وكذا"، وأهل الإيمان يقولون: "مُطِرْنا بفضل الله ورحمته"، فالاستسقاء بالنُّجوم: أي نسبة الغيث ونزوله إلى النُّجوم وإلى الأنواء هذا أيضًا من أعمال أهل الجاهليَّة. والمؤمن إذا نزل الغيث حمد الله سبحانه وتعالى وشكره على منِّه وفضله وقال: "مُطِرْنا بفضل الله ورحمته" ؛ اعترافًا للهِ عزّ وجلّ بالمنّ والفضل . وليست الأنواء هي سبب

نزول الغيث، وإنَّما سبب نزول الغيث فضل الله ورحمة الله ولجوء أهل الإيمان إلى الله استغاثةً وطلبًا وإلحاحًا على الله سبحانه وتعالى.

وقد شُرِعَت صلاة الاستسقاء لطلب الغيث والإلحاح على الله سبحانه وتعالى بالدُّعاء ، وشُرِعَ الاستغفار والإكثار فيها من الاستغفار لذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[نوح: ١٠-١١] ، ولهذا يُؤثَر عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنَّه صلَّى بالنَّاس الاستسقاء ولم يزد في خطبته على الاستغفار، فقيل له في ذلك، فقال: «لقد سألتُ الله بمجاديح السَّماء الَّتي يُستنزَلُ بها المطر» ، وهذه الكلمة قالها ردًّا على أهل الجاهليَّة في استسقائهم بالأنواء، لأنَّ المجاديح: جمع مِجْدَح، وهو نوع من الأنواء أو النُّجوم، فقال: «سألتُ الله بمجاديح السَّماء»، هم كانوا يقولون: "مُطِرْنا بمِجْدَح كذا" أي: نوْء كذا ونجم كذا، فقال: «سألتُ الله بمجاديح السَّماء» أي الاستغفار. مثل ذلك: صنيع أبي هريرة رضي الله عنه كان إذا أصبح صبيحةَ ليلةٍ ممطرة قال: «مُطِرْنا بنوْء الفتح»؛ ردًّا على أهل الجاهليَّة، إشارةً إلى قول الله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢] أي: أنَّ هذه رحمة الله. فأهل الجاهليَّة كانوا يستسقون بالأنواء فينسِبون إليها نزول الغيث ونزول الأمطار، وهذا كفر بنعمةِ الله سبحانه وتعالى.

قال: ((**والنِّياحة على الميِّت**)) ؛ والنِّياحة: هي النَّدب؛ ندب الميِّت بذكر مآثره وخصاله، وهي نوع من التَّسخُّط والاعتراض على قدر الله وعدم الرِّضا بما قدَّر سبحانه وتعالى ، وهي أيضًا من الجاهليَّة؛ لأنَّ هذا الميِّت مات بأجله الذي قضاه الله وقدَّره، لا يستأخر عنه ساعةً ولا يستقدم، فكان من طريقةِ أهل الجاهليَّة إذا مات ميِّتهم أخذوا في النِّياحةِ عليه.

قال: ((**والنَّائحة**)) ؛ خصَّ النَّائحة في الذِّكر لا لكوْن الحكم مُختصًّا بها، وإنَّما لكونِ هذا الأمر يكثر في النِّساء؛ لكثرة جزع النِّساء وقلَّةِ صبرهنّ، ولهذا خصَّهنَّ بالذِّكر، وإلاَّ فإنَّ الحكم يتناول الرِّجال.

قال: ((**النَّائحةُ إذا لم تتُب قبل موتها**)) وهذا فيه أنَّ التَّوبة تجبُّ ما قبلها، وأنَّ مَن تاب تابَ الله عليه، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر:٥٣].

قال: ((**النَّائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سِربالٌ من قَطِران**)) ؛ السِّربال: هو اللِّباس، عليها سربال : أي لباس قميص أو نحوه من قطران ، والقَطِران: هو النُّحاس المذاب.

((**ودِرْعٌ من جرب**)) أيضًا لباس يغطِّي البدن من جرَب، والجرب آفة ومرض يضرّ البدن ويؤذيه أذًى عظيمًا، فتُقام يوم القيامة على هذه الصِّفة؛ عقوبةً لها. ولما حلَّت بها المصيبة لم تغطّي هذه المصيبة بالتَّحلّي بالصّبر الّذي أوجبه الله سبحانه وتعالى فغُطِّيت بهذا اللِّباس ؛ سربال من قَطِران، ودِرْعٌ من جرب.

قال رحمه الله تعالى :

١٣١ – وروى الترمذي وحسّنه: ((لينتهينّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، وإنما هم فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان، إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس من آدم وآدم خُلق من تراب)). عُبيّة بتشديد الباء وكسرها: الفخر والكبر.

****

قال رحمه اللَّه تعالى: وروى التّرمذيُّ وحسَّنه: ((**لينتهِيَنَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الّذين ماتوا**)) أي ماتوا على الكفر، بدلالة قوله: ((**إنَّما هم فَحَمُ جهنَّم**)) أي: آباء هؤلاء إنَّما هم فَحَمُ جهنَّم.

قال: ((**لينتهيَنَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الّذين ماتوا**)) ؛ «لينتهيَنّ» هذا تحذير منه عليه الصَّلاةُ والسَّلام من ذلك، وأمرٌ بالكفِّ عنه وتحذيرٌ منه ((**لينتهيَنَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الّذين ماتوا، إنَّما هم فَحَمُ جهنَّم**)) .

((**أو**)) معطوف على قوله «لينتهيَنّ» ((**لَيكونُنَّ أهوَن على اللَّه من الجِعلان**)) ؛ والجِعْلان يقال له: «الجَعَل» دُوَيْبة صغيرة سوداء اللَّون تُشبه الخنفساء وليست هي الخنفساء، وهذه الدّابَّة من حقارتها وخِسَّتها أنَّها تُدَهْدِه الخُرْء بأنفها ، تأتي إلى الخرء –أكرم اللَّه الجميع– وتجمعه وتجعله على شكل كرة ثمّ تدحرجه أمامها، ورائحة الخرء تستطيبها، ويُذكر عن هذه الدُّويْبة أنَّها إذا شمَّت رائحة العطر ماتت، وإذا شمَّت الخرء انتعشت، هذا من حقارة هذه الدَّابَّة، ولهذا يُضرَب بها المثل بالحقارة والهوان والخِسَّة، "كالّذي يدهده الخرء بأنفه" أي: الجِعلان أو الجعل.

والجِعلان هذا يوجد في البراري، ومن شدَّة تعلقِّه برائحة الخرء يُذكَر عنه أيضًا في كتب الحيوان : أنَّه إذا رأى إنسانًا تبِعه، فإذا بات أخذ يرصده ينتظر متى يقوم ليقضي حاجته، فإذا قضى حاجته ومضى أتى إلى الخرء الذي هو بغيته، ولهذا يُضْرَب به المثل في الخِسَّة والحقارة والهوان؛ قال: ((**ليكونُن أهون على اللَّه من الجِعلان**)) أي هذه الدَّابَّة الحقيرة الّتي بهذه الحقارة يكون هؤلاء أهون على اللَّه من الجِعلان، هذا ممَّا يبيِّن شناعة هذا الأمر.

((**إنَّ اللَّه أذهب عنكم**)) أي أمَّة الإسلام ((**عُبِّيَّة الجاهليَّة**)) ؛ والعُبيَّة هي: الفخر، افتخار أهل الجاهليَّة بآبائهم ومآثر الآباء وما إلى ذلك، ((**أذهب اللَّه عنكم عُبِّيَّة الجاهليَّة وفخرها بالآباء**)) ؛ هذا كلُّه أذهبه اللَّه بالإسلام، قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] . فالإسلام أذهب عن النَّاس عُبِّيَة أهل الجاهليَّة؛ فخرهم بآبائهم وأحسابهم، أذهب الله ذلك، وجاء الإسلام بأنَّ الأكرم هو الأتقى، أيًّا كان نسبه. فالأكرم عند الله هو الأتقى لله سبحانه وتعالى.

قال: ((**أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وفخرها بالآباء، إنَّما هو مؤمنٌ تقي أو فاجرٌ شقي ، النَّاس من آدم، وآدم خُلِق من تراب**)) ؛ وهؤلاء إمّا مؤمن تقي أيًّا كان نسبه، وفاجرٌ شقي أيًّا كان نسبه، حتى لو لم يكن نسبه من الأنساب الشريفة من الأنساب العالية، فالنّاس مؤمن تقي، أو فاجرٌ شقي، وفي الحديث: ((مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))، واللهُ يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١-١٠٣]

قال رحمه الله تعالى :

بابُ الطعن في الأنساب

١٣٢ – عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت)).

****

قال رحمه اللَّه تعالى: «**بابُ الطَّعنُ في الأنساب**» أي: الوقيعة في أنساب النَّاس ازدراءً وانتقاصًا واحتقارًا ؛ ولا يأتي هذا الطَّعن إلاّ من إصابة هذا الطَّاعن بنوعٍ من الفخر والاستطالة على الآخرين ؛ ولهذا أتبعَ هذا الباب بالَّذي قبله، الأوَّل الفخر، وهذا الطَّعن. فالطَّعن إنَّما يكون بوجود شيء من الفخر في هذا الطّاعن في الآخرين استطالةً عليهم وتعاظُمًا.

قال: **عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا**: ((**اثنتان في النَّاسِ هما بهم كفر**)) ؛ «اثنتان»: أي وصفان وخصلتان وخلَّتان. «في النَّاس» أي: موجودة في النَّاس. وقوله هنا «في النَّاس» هو نظير قوله في الحديث المتقدِّم ((لا يتركونهنّ)) فهذا فيه إشارة إلى بقاء هاتين الخصلتين في النَّاس ، وهذه الإشارة إلى البقاء تتضمَّن التَّحذير من هاتين الخصلتين.

((**هما بهم كفرٌ**)) وهذا كفر دون الكفر الأكبر النَّاقل من الملَّة. أي أنَّ هاتيْن الخصلتَين من خصال الكفر، ومن أعمال أهل الجاهليَّة، وليست من أعمالِ أهلِ الإيمان.

((**الطَّعنُ في الأنساب**)) ؛ وهذا موضع الشاهد للتَّرجمة ، أي: الوقيعة فيها انتقاصًا واحتقارًا وازدراءً.

((**والنِّياحة على الميّت**)) بالنَّدب والبكاء والعدّ لمآثر الميِّت تسخُّطًا وجزعًا وعدم رضًا بما قضاه اللَّه سبحانه وتعالى وقدَّره.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ من ادّعى نسبًا ليس له

١٣٣ – ولهما عن سعد رضي الله عنه مرفوعًا: ((من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)) .

١٣٤ – ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر)).

١٣٥– ولهما عن عليّ رضي الله عنه مرفوعًا: ((من ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً)) .

****

قال رحمه اللَّه تعالى: «**بابٌ مَن ادَّعى نَسَبًا ليس له**» أي: انتسب إلى غير أبيه ، وكان هذا الانتساب منه إلى غير أبيه عن علمٍ منه بذلك، متعمِّدًا نقل انتسابه من أبيه إلى غير أبيه ؛ فهذا فيه وعيدٌ شديد جاءت به النُّصوص دالَّةً على أن هذا الأمر من عظائمِ الذُّنوب وكبائر الآثام ؛ لِما يترتَّب عليه من شرور عظيمة وفسادٍ عريض.

قال: **عن سعدٍ رضي اللَّه عنه مرفوعًا ((مَن ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلمُ أنَّه غير أبيه فالجنَّةُ عليه حرام))** ؛ ادَّعى إلى غير أبيه: انتسب إلى غير أبيه بقوله "أنا فلان ابن فلان" ويكون فلانٌ هذا ليس والده، وهو يعلم أنَّه ليس والده.

قال: ((**فالجنَّةُ عليه حرام**))؛ لكذبه، وتنصُّله من نسبه، ولِما يترتَّب على ذلك من مفاسد عظيمة، ومن ذلكم ما يكون من اختلاط في الأنساب، ومحاذير تتعلَّق بالمحرميَّة، ونحو ذلك.

قال: ((**مَن ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلمُ أنَّه غير أبيه فالجنَّةُ عليه حرام**)) ؛ وهذا وعيد، وحكمه حكم نصوص الوعيد الواردة في هذا الباب، وهذه عقوبته عند اللَّه سبحانه وتعالى ((فالجنَّةُ عليه حرام)) ، وهذا التَّهديد بذلك دالٌّ على أنَّ هذا الأمر من الكبائر، لا يُقال: الجنَّة عليه حرام، أو هو من أهل النَّار، أو يُذكَر سخط اللَّه سبحانه وتعالى أو نحو ذلك إلاّ فيما هو من الكبائر.

قال: **وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا: ((لا ترغبوا عن آبائكم))** أي: لا تتركوا الانتساب إلى آبائكم بالانتساب إلى غيرهم.

((**لا ترغبوا عن آبائكم، فمَن رغب عن أبيه فهو كفرٌ**)) أي: أنَّ هذه الرَّغبة عن غير الأبّ إلى نسبةٍ أخرى هذا من خصال الكفر وأعمال أهل الكفر ، وهذا أيضًا كسابقه من نصوص الوعيد والتَّهديد، وبيان أنَّ هذا الأمر من عظائمِ الذُّنوبِ وكبائر الآثام.

ثمّ أورد حديث علي – وجميع أحاديث هذا الباب في الصَّحيحَيْن – مرفوعًا: ((**مَن ادَّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنةُ اللَّهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعين، لا يقبل اللَّه منه صرفًا ولا عدلاً**)) ؛ وهذا أيضًا دالٌّ على أنَّ هذا العمل من كبائر الذُّنوب ؛ لأنَّ اللَّعنة لا تكون إلاّ في ذلك، قال: ((عليه لعنة اللَّه والملائكة والنَّاس أجمعين، لا يقبل اللَّه منه يوم القيامةِ صرْفًا ولا عَدْلاً)).

وقوله: ((**مَن ادَّعى إلى غير أبيه**)) أي: بالانتساب، بأن ينتسب إلى غير والده.

((**أو انتمى إلى غير مواليه**)) والمراد بالولاء هنا: ولاء العتق. وقد جاء في الحديث عن النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: ((الْوَلاَءُ لُحْمَةٌ كَلُحْمَةِ النَّسَبِ لاَ تُبَاعُ وَلاَ تُوهَبُ))، مثل ما أنَّ نسب الإنسان لا يجوز له أن يغيِّره أو أن يهبه أو أن ينقل نسبه إلى الآخرين، فالولاء أيضًا –الذي هو ولاء العتق– لُحْمةٌ مثل لُحمة النَّسب . ولهذا مَن انتمى إلى غير مواليه قال: "أنا مولى بني فلان" وهو كاذبٌ في هذه النِّسبة فله هذا الوعيد؛ لأنَّ الولاء لُحْمَةٌ كلُحمةِ النَّسب.

نسأل اللَّه الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علَّمنا وأن يزيدنا علمًا، وأن يُصلِحَ لنا شأننا كلَّه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات. اللهمَّ أصلِح لنا ديننا الَّذي هو عِصمةُ أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلِح لنا آخرتنا الَّتي فيها معادنا ، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خير، والموت راحةً لنا من كلِّ شرّ. اللهمَّ اغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات. اللهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبَلِّغنا به جنَّتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدُّنيا، اللهمَّ متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحيَيْتنا، واجعله الوارث منَّا، واجعل ثأرنا على مَن ظلمنا، وانصرنا على مَن عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدُّنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ عِلمنا، ولا تسلِّط علينا مَن لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.